

أيمان العرب في الجاهلية

صناعة أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيري الكاتب
تقلاً من نسخة المزاينة النجيرية (٢٦٢ لغة) ودار الكتب المصرية (٢٣٤ مجلد)

﴿ باب آخر ﴾

وأما عبدة الاوثان فتقسمون بها ، كقولهم « لاواللات والعزى ^(١) ،
لا ومناة »

وربما أقسموا بما يُستَرُّ لها ^(٢) . وقد فرغ ابن الكلبي من أسماء الاصنام
في كتاب الاصنام ^(٣) ، فأغنى ذكر ذلك ها هنا

وقد أقسمت العرب بالماء والسماء والنجوم . كقولهم « لا والسماء ، لا والماء ، لا
والآيات ، لا والطارقات ، لا والزأكات » وكقولهم « لا والساجات » الساجات
النجوم . ومنه قول الله تعالى « وكل في فلك يسبحون » . والآيات النجوم
إذا تصوّبت للغيب ، يقال منه آب النجم . والطارقات النجوم إذا طرقت
أي طلعت . والزأكات إذا زالت عن كبد السماء

« لا ونفث الأوح ، والماء المسفوح ، والفضاء المندوح ، والنور الموجوح »
أي المحجوب . النفث ها هنا ما بين السماء والارض وكل هواء بين رأس جبل
الى أسفله فهو كذلك . والأوح الهواء بين السماء والارض ، وأضاف النفث

(١) في صبح الاعشى (١٣ : ٢٠٣) ان أكثر حلف عرب الحجاز كان باللات والعزى

(٢) قال ابن الاثير في النهاية : كان الرجل من العرب يذر النذرية قوله اذا كان كذا وكذا ،
أو بلغ شأؤه كذا فليبه ان يذبح من كل عشرة منها في رجب كذا . وكانوا يسوونها المتأثر وقد
هتر بمرهرا اذا ذبح المتبرية . ومكنا كان في صدر الاسلام وأوله ثم فسخ . قال الخطابي :
المتبرية تفسر بها في الحديث أنها شاة تدبح في رجب . . . أما المتبرية التي كانت تفرها الجاهلية

فهي الذبيحة التي كانت تذبح للاصنام فيصّب دمه على رأسها
(٣) في الاستاذ العلامة أحمد زكي باشا بتصحيح كتاب الاصنام لابن الكلبي وتحقيقه والتأليف

عليه . وسبندر قرياً من مطبعة دار الكتب المصرية

اليه . والمسفوح المصبوب . وعنى به البحر . والقضاء يعنى الارض . والمندوح
الموسع . وكنهم عطفوا هذه الاشياء لأن بها قوام العالم

﴿ باب آخر ﴾

يقولون « قسماً لأفعلن ذاك ، وبميناً ، وألية ، ونجياً . وعهداً ، ونذراً ،
وموتقاً ، وميثاقاً ، وحقاً ^(١) ، ولاحقاً ، وليميناً ، ولقسماً » . وقال آخرون « لحنى
لأفعل » يرفضون بغير تنوين مع اللام ^(٢) . والنحب النذر . وأنشد :
قضيت نجباً وجملت نذراً ^(٣)

والإصر العهد . ومن أيمانهم « بإصر وأصر ليكونن ذاك » وأنشد :
باصر يتركنى الحى يوماً رهينة دارهم وهم سراع
ومعنى إصر : حتم لازم . كما قل يلزم العهد وكما يلزم اصره الرحم . ومنه
الاصر النقل لأن اللازم الواجب ينقل كأنه قال : حقاً لتركنى الحى . ومنه
قوله : فان اكبر فلا باطير اصر يفارق عاتقى ذكر خثيب
أطير : فعيل من أطره باطره أطراً إذا عطفه والمعنى ان على اصرأ يعطفنى
على أن لا افارق هذا السيف . وهذا كقولك أقسمت انما وقع على الفراق فصار
الفراق منفياً

والأل : العهد ، وهو أيضاً من أسماء الله تعالى . وهو الرحم أيضاً . وبوشك
أن يكون انما اشتمل على هذه المعاني الثلاثة ، لان العهد سبب منوط بسبب الله
عز وجل ، ولأن الرحم شجنة من الله عز وجل . ومعنى شجنة من الله سبب
منوط من الله عز وجل ^(٤)

(١) في الاصطلاح حتماً ولم أجده له معنى وجيهاً (٢) المزهر ٢ : ١٦٨ والمختصم
١١٦ : ١٣ (٣) قولهم قضى نجبة كأنه ألزم نفسه أن يقاتل حتى يموت
(٤) الشجنة : الشبة من كل شئ . يقال بينها شجنة ورحم ، كأنها جبل من خبال صلتها

﴿ باب ﴾

قال أبو عبيدة : « أَوْذَمَ فلانٌ يميناً » إذا أوجب على نفسه يميناً . وأوذم فلانٌ بالهَج ، وأوذم بحجة كأنه ناط على نفسه بحجة كأنباط أَوْذَام الدلو^(١) وكذلك « أَبَدَعَ يميناً » وأبدع بالهَج ، وبحجة « أوجبها على نفسه » وقال ابن الأعرابي : « لا والذي أَكْتَعُ له » أى أحلف به . ومعنى أَكْتَعُ أَوْكَد لانه وكَد قوله بليمين من قولهم أجمعون اكنتمون أبو عبيدة « جبر^(٢) » فى الإيجاب بمعنى نعم وأجل . وعين أَسْنَا . وقالوا « لاجبر » بمعنى جبر كما قالوا : لا أقسم الكسائي : عَوْضَ وَعَوْضُ^(٣) . الاموي : عوضَ ومن ذى عوض . وقال أبو عمرو عوض من اسماء الدهر ، فكثر فى كلامهم حتى حلفوا به ومن أيمانهم « لا وجدك » أقسم بجمده الذي هو حظه^(٤) كما يقسم بعمره إذا قال « لعمرك » وكما تقول « وعيشك » . فإذا قال « أجيدك » بمعنى أمجد أنت كأنه قال أتجدُّ جدًّا فى هذا القول ، فاضاف اليه الجِد وخرج عن باب اليمين وقالوا « صَبْرَه يميناً يصبرُه صبراً » والصبر الحبس ، كأنه حبسه عنها^(٥) وقالوا « أَلْتَه يميناً يألته أَلَّا » ومنه قول الله تعالى « لا يألنكم عن أعمالكم شيئاً » أى لا يحبس ولا يؤخر وقالوا « حلف بالفتوس^(٥) » أى يمين تنمسه فى اللثم

(١) أَوْذَم السقاء إذا شده بالوذمة وهو السير

(٢) المزهر ٢ : ١٦٨ والقالى ٣ : ٥٢ والخميس ١٣ : ١١٦ .

(٣) الخميس ١٣ : ١١٦ . ولا يزالون فى دمشق يقسمون بالحلف فيقول احدهم « بحظي »

(٤) الخميس ١٣ : ١١٦ .

(٥) الخميس (١١٦ : ١٣) . وقال الخطيب الشربيني فى تفسيره : اليمين الفتوس هى ان

يحلف على أمر ماضى أنه فاعل ولم يكن . وفى محاضرات الراغب (٢٩٨ . ١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اليمين الفتوس تدع الديار بلائع »

وقالوا « لا خير في يمين لا تخارم لها » أى لا تخارج لها . والمخرم منقطع
أنف الجبل ، وهو الطريق فيه فشبّهوا التأول في المخلص من اليمين به .
ويوشك ان يكون انما خصوا المخرم لانهم شبّهوا اليمين بالجبل استئقالا لها فسموا
بجازها بمعجاز الجبل

وقالوا « يمين جلواء ، وحلقة جلواء ، وينة جلواء » أى ينجلي بها الحق
وينكشف . وأنشد :

لكل أمر واقع أحناء شهادة أو حلقة جلواء

به تقوم الارض والسماء وكل شىء غير ذا عداء

وأحناء الامر أراد به أركانه ، أخذ من أحناء الرجل ، الواحد حنو . والعداء

الظلم . والمعنى ان كل شىء مرتفع فيه تنازع فهذه سبيله . قال زهير :

فان الحق مقطعه ثلاث : يمين أو نفاق أو جلاء ^(١)

فاليمين معروفة ، والنفاق المنافرة الى الحكم وهى المحاكمة اليهم ليفصلوا
بلحق ، والجلاء البينة التى تجلو الشك والشبهة فتغني عن اليمين وعن التحاكم .
واذا حلف الرجل قالوا له : جلا أبو فلان ، وتحلل أبا فلان ^(٢) أى استثنى ^(٣)
أى قل ان شاء الله . وربما قالوا ذلك على سبيل الاستعطاف للحالف والرفق به .

(١) كان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه يعجب من حسن هذا التقسيم ويردد
بيت زهير من التعجب . ورووا عنه أنه قال : لو أدركته لوليت القضاء لمرفته بما ثبت به
المقوق . انظر البيان والتبيين ١ : ١٣٥ والصناعتين ٢٦٨ والعمدة ١ : ٣٠ وشرح بانت سعاد
لابن هشام ١٦ (مصر سنة ١٣٢١) وغيرها

(٢) في الاسلين « وتحلل أبا فلان » وصحته من قول الراغب في المحاضرات (١ : ٣٠٠) :
كانت العرب تسمى الاستثناء في اليمين « التحليل » . قال الشاعر :
تحلل أيت القمن في قول آثم
وقال : وإذا حللت مमारياً فتحلل

وقال نمال « نحلة أيمانكم »

(٣) ومن هنا سدوما « التوبة » المحمص (١٣ : ١١٥) . وفي محاضرات الراغب .

(١ : ٣٠٠) من النابغة : حلفت يميناً غير ذي مثوبة

وربما قالوا على سبيل الهزء منه

ويقال « حلف حلفاً ، وحلقة واحدة »

وقالوا « أقسم بالله » وأصله أنه وصل بالله تعالى إلى قسم من الاقسام حلف

به ، ثم كثر هذا وانسع . وانقسم مذكر ، يقولون « أقسم بالله قسمًا صادقًا ، وقسمًا باريًا »

وقالوا « آلى يؤلى إيلاء .^(١) »

وأصل « اليمين » أنهم كانوا إذا تحالفوا وتماقدوا نصاقوا بأيامهم ، ولذلك

قبل « أعطاه صفقة يمينه على هذا الامر^(٢) » ثم سمر الحلف يمينًا على ذلك

المعنى . وأنشوا اليمين على تأنيث اليد فقالوا « حلف يمينًا برّةً ، ويمينًا فلجرة »

قال أبو عبيدة : كانوا في الجاهلية الأولى إذا تحالفوا وتماهدوا أوقدوا نارًا

ودنوا منها حتى تكاد تحرقهم ، وعدّدوا منافع النار ودعوا على ناقض تلك

اليمين ، والناكث لذلك المهدم ، بحرمانك المنافع ، ويتصاخون عندها ويقولون

« اللهم المدم ، والهدم المدم^(٣) » والمعنى دماؤنا دماؤكم وهدمنا هدمكم ، والهدم

اسم البناء المهدوم ، أي فما هدم لكم من بناء أو شان فقد هدم لنا وما أريق لكم

من دم فقد أريق لنا ، يلزمنا من نصرتمكم ما يلزمنا من نصرة أنفسنا . وعبروا

على استعمال ذلك يتوارثونه إلى أن أتى الله تعالى بالاسلام ، وكان الحلف بين

رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الانصار فقال صلوات الله وسلامه عليه لهم

« اللهم المدم والهدم المدم »

وكاتوا يقولون « عهدا لا يزيد طلوع الشمس إلا شدةً ، وطول^(٤)

الليالي إلا مدًا »

(١) انظر ص ٢٤١ (٢) النهاية لابن الاثير (صفق)

(٣) النهاية لابن الاثير (هدم) والجوان للجاحظ (٤ : ١٥٠) ولسان العرب (هدم)

(٤) في الاصل « وطلوع » وصححه من الحيوان (٤ : ١٥٠)

و « ما بلّ بجر صوفة ^(١) » و « ما أقلم رضى ^(٢) »
 وربما دنوا من النار حتى تكاد تحسهم ^(٣) ، أو تكاد تحرقهم . ويبولون بها
 على من يستخف بمحقوقها ، ويتوعدونه بحرمان منافعها ومراقبتها ^(٤) ، وفي ذلك
 نكد العيش وحرمان الحياة
 ويسمون الرجل القيم بأمر تلك النار « المبول » ^(٥) وقد ذكرته الشعراء .
 قال الكهيت :

كقولة ما أوقد المحلفون لدى الخالفين وما هوأوا ^(٦)
 [و] قال أوس [بن حجر] وذكر عذراً قائماً فوق نثر :
 إذا استقبلته الشمس صدّ بوجهه كما صدّ عن نار المبول حالف ^(٧)
 وكان من شأنهم إذا تحالفوا أن يغمسوا أيديهم في الدم ، وما زالوا على
 ذلك الى أن كان الحلف الواقع مشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حلف
 المطيئين وحديثه معروف ^(٨)

وكانوا ربما تماقدوا وتماهدوا على الملح . والملح عندهم شيطان : ملح الادم
 التي يتسلح بها ، والابن . وذلك أنه سواء عندهم [أن يجتمعوا على طعام وملح ،
 أو على شرب لبن . هذا عندهم ^(٩)] مملحة . ولذلك سموا اللبن ملحاً فقالوا
 من البابين جميعاً « يتنا ملح » وعلى هذا قال أبو الطامحان القيني :

(١) في تاج المروس : وصوفة البحر على شكل هذا الصوف الحيواني . ومن الابديات
 قولهم « لا آتيك مابل البحر صوفة » حكاه المعاني

(٢) الحيوان ٤ : ١٥٠ . ورضوى جبل بين المدينة وينع (٣) الحيوان (٤ : ١٥٠)
 والمخصص (١١٥ : ٣) والنهاية ولسان العرب وتاج المروس وغيرها

(٤) المخصص ١١٥ : ١٣ (٥) الحيوان ٤ : ١٥٠

(٦) محاضرات الراقب (١ : ٣٠٢) والبيان والتبيين (٣ : ١) والحيوان (٤ : ١٥٠)

(٧) البيان والتبيين (٣ : ١)

(٨) النهاية لابن الاثير (ماد تغمس ، وطيب) (٩) الزيادة من التيمورية

واني لأرجو ملحقها في بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبراً^(١)
 أي سمّتهم هذه الالبان بعد الهزال . وقال شتيم بن خويلد :
 لا يبعد الله رب العباد والملح ما ولدت خالده^(٢)
 وأما كنان العرب فاتهم كانوا يقسمون بالسماء والماء ، والارض والهواء ،
 والنور والضياء ، والظلمة ، وينبر ذلك مما هو موجود في أخبارهم ، كما أقسم
 سواد بن قارب الدؤمي : « أقسمُ باضياء والحلّك ، والشروق والدّلّك^(٣) »
 وهي كثيرة موجودة في كتب أخبارهم

﴿ باب ﴾

يقال آلى فلان يؤلي إيلاء . قال : والاسم الالية . فاذا قيل آلى يفعل ،
 وآليت أفعل ، فهو قسم على ترك الفعل ، لأن اليمين بمنزلة النفي للفعل حتى يأتي
 باللام التي هي آلة للقسم ، كقولك آليت لأفعلن . وكذلك قولك والله أفعل
 وأقسمت أفعل . وهذا مما يغالط به ويجوز على كثير من الناس . وعلى هذا قول
 المتلمس :

آليت حبّ العراق الدهر أطعمه والحبّ يأكله في القرية السوس

هذا آخر في إيمان العرب ﴿

والحمد لله وحده ، وصلاته على خيرته من خلقه

سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

(١) الحيوان للجاحظ (٤ : ١٥١) (٢) محاضرات الراغب (١ : ٣٠٢)

﴿ اليمين الرقيقة ﴾

قال عبد الله بن المعتز العباسي : بودي لو أن لي بيت الخنعمي بألف بيت :
 وآلت يميناً كالزجاج رقيقة وما حلفت إلا لتحت من أجلي